حين فتح الليل فاه

تأليف : نبض الكيان

لم تكن ليلى من النساء اللواتي يخَفن البيوت القديمة ، على العكس كان في الأمكنة العتيقة ما يطمئنها على نحو غريب...الجدران السميكة، الخشب الذي يصدر أنينه الخافت ليلاً، النوافذ العالية التي تحتفظ ببرودة الظل حتى في عزّ الصيف، والرائحة الباهتة التي تتركها السنوات فوق الأثاث كما يترك الغبار يده فوق المرايا ، لذلك حين وصلت إلى البيت الذي ورثته عن خالتها الوحيدة، لم تشعر بالخوف ، فقط بشيء يشبه التردد.

كان البيت في طرف المدينة، عند منطقة نسيتها الخرائط الحديثة كما تُنسى الندوب القديمة تحت الثياب. بيتٌ صامت، ثقيل، بدا من الخارج كأنه يراقب الطريق الضيق المؤدي إليه بصبرٍ لا يليق بالحجارة.

خالتها ماتت فيه وحدها، كما عاشت معظم حياتها: بلا زوج، بلا أبناء، وبكثير من الصمت الذي لم يفهمه أحد.

في الداخل، لم يكن المكان مهملاً بقدر ما كان... متروكاً على حاله، كما لو أن أحداً غادره منذ لحظة فقط وسيعود.

الستائر بلون الغبار، الخشب المعتّق، المزهريات الفارغة، والمرايا التي تعكس الغرف ببرودة لا تُطمئن.

كان في البيت شيء يصعب تسميته.

ليس تهديداً واضحاً.. بل ذلك الإحساس الخافت بأن المكان يعرف عنك أكثر مما ينبغي.

قالت لها الجارة العجوز في أول مساء، وهي تناولها مفتاح الباب الخارجي:

— " لا تفتحي الباب إذا سمعتِ الطرق بعد منتصف الليل. "

ابتسمت ليلى مجاملة.

وظنتها واحدة من خرافات البيوت القديمة، تلك التي يختلقها الجيران ليمنحوا العتمة قصة.

لكنها، في الليلة الأولى، عند الثانية تماماً...

سمعت الطرق.

طرقة واحدة.

ثم صمت.

ثم طرقتان متباعدتان، كأن أحداً يعرف تماماً كيف يوقظ أعصاب الإنسان دون أن يوقظ البيت كله.

كانت مستلقية على السرير، نصف غارقة في النوم، فرفعت رأسها ببطء.

حبست أنفاسها.

ثم جاءها الصوت مرة أخرى.

لكن هذه المرة لم يأتِ من باب الشقة الخارجي.

بل من باب الغرفة نفسها.

نهضت، وشعرت ببرودة تتسلق ساقيها من الأرضية الخشبية.

تقدمت خطوة... ثم أخرى...

ولمّا صارت على بعد ذراع من الباب، انقطع الطرق فجأة.

وحدث شيء أسوأ.

فاحت رائحة غريبة في الغرفة.

ليست عفناً، ولا بخوراً، ولا عطراً معروفاً.

بل رائحة دافئة، داكنة، مربكة... كرائحة حضورٍ ذكوريّ خرج من العتمة، ممزوجة بدخان قديم وخشبٍ محترق بخفة.

تراجعت فوراً.

وفي اللحظة ذاتها، سمعت صوتاً خلفها.

صوت رجل، منخفض، ناعماً على نحو غير طبيعي:

— "أخيراً... سمعتِني."

التفتت بعنف.

لم يكن هناك أحد.

لكن المرآة المقابلة للسرير كانت تعكس شيئاً لم يكن في الغرفة.

ظلاً.

ظلّ رجل يقف خلفها.

طويلاً، مستقيم القامة، يضع يديه خلف ظهره كأنه في انتظارها منذ زمن.

لم ترَ وجهه بوضوح، فقط الخطوط: عنق واضح، كتفان عريضان، وشيء في الوقفة... شيء يحمل يقيناً متعالياً، كأنه لا يطلب الإذن بالدخول إلى أي مكان.

استدارت نحو الفراغ خلفها.

لا أحد.

وعندما التفتت ثانية إلى المرآة... كان قد اختفى.

في الصباح، أقنعت نفسها أن الأمر كان إرهاقاً.

لقد أنهت مؤخراً علاقة استمرت ثلاث سنوات، وخسرت بعدها عملها في دار النشر التي أفنت شبابها فيها، ثم جاءت هذه الورثة المفاجئة لتنتشلها من الإفلاس وتلقي بها في بيت كئيب لا تعرف تاريخه حقاً.

الإنسان، حين يتصدع من الداخل، يرى أحياناً ما ليس موجوداً.

هكذا قالت لنفسها.

لكنها حين فتحت أحد أدراج خالتها بعد الظهر، وجدت شيئاً جعل تفسير "الإرهاق" يبدو سخيفاً.

كان هناك دفتر جلدي أسود، مشدود بحزام نحاسي صدئ، وبين صفحاته أوراق صفراء مكتوبة بخط نسائي أنيق ومضطرب في آن.

فتحت الصفحة الأولى.

"إذا بدأ يطرق الباب، فلا تجيبي النداء بصوتك."

توقفت أنفاسها وقلبت الصفحة.

"هو لا يدخل البيت... بل يدخل من الوحدة."

ثم:

"أخطر ما فيه أنه لا يأتيكِ كوحش.

يأتيكِ كالرجل الذي يراكِ تماماً."

أغلقت الدفتر بعنف، كأن الكلمات نفسها كانت تنظر إليها.

في المساء، لم تستطع مقاومة العودة إليه.

جلست على الأرض قرب المصباح، وراحت تقرأ.

كانت الصفحات تتحدث عن كيان قديم، لا اسم ثابتاً له، ولا شكلاً واحداً.

في بعض السطور تسميه خالتها "الزائر"، وفي أخرى "ابن النار الصامتة"، وفي صفحات متأخرة، حين صار الخط مرتجفاً ومتكسراً، اكتفت بحرف واحد فقط: هـ

كتبت خالتها أنه لا يظهر إلا للنساء اللواتي يمررن بـ"شرخ داخلي" — فقد، خيانة، عزلة، أو جوع عاطفي عميق.

لا يقتحم.

لا يكسر الأقفال.

بل يظل قرب الروح حتى تتشقق وحدها.

وكان أكثر ما أرعب ليلى جملة واحدة كُتبت في الهامش، وكأنها أضيفت لاحقاً تحت وطأة ذعر شخصي:

" لا تصدقي دفء صوته ... النار لا تحرق دائماً من اللمسة الأولى."

في الليلة الثالثة، لم تنتظر الطرق.

كانت جالسة في السرير، الضوء خافت، والدفتر في حضنها، عندما انطفأت المصابيح كلها دفعة واحدة.

ليس كعطل كهربائي عادي.

بل كأن البيت نفسه أخذ شهيقاً عميقاً... ثم أطفأ عينيه.

تجمدت.

ثم جاءها صوته من الظلام.

هذه المرة واضحاً، قريباً جداً:

— "أنتِ تقرئين عني بطريقة جارحة."

ارتعشت أصابعها.

— " من... من هناك؟ "

ضحك ضحكة قصيرة، خافتة، فيها شيء من التسلية الحزينة.

— "سؤال يليق بالبشر. كأن الأسماء تمنحكم الأمان."

لم تره في البداية.

ثم بدأت العتمة نفسها تتجمع عند طرف الغرفة، كأن الظل يتكاثف حتى يصير هيئة.

ظهر أولاً خط الفك ... ثم العينان.

وكانتا أكثر ما أربكها ، لم تكونا حمراوين كما في القصص، ولا متوحشتين بل عينين عميقتين على نحو يكاد يكون إنسانياً أكثر من اللازم.

ذلك النوع من العيون الذي يوحي بأنه رأى سقوط إمبراطوريات، وولادة خطايا، وبكاء نساء كثيرات في الغرف المغلقة.

خرج من الظل ببطء.

كان يرتدي الأسود، لكن السواد بدا عليه كامتداد طبيعي له، لا كثوب.

طويل، متناسق، بوجه حاد الوسامة على نحو غير مريح، كأن الجمال نفسه إذا بالغ في دقته يتحول إلى تهديد.

قالت بصوت جاف:

— "أنت لست حقيقياً."

مال برأسه قليلاً، كأن العبارة راقته.

— "ومع ذلك... أنتِ ترتجفين."

لم تستطع الرد.

اقترب خطوة.

ثم أخرى.

وكان الأمر الأكثر رعباً أن ليلى لم تشعر فقط بالخوف.

شعرت بشيء آخر، شيء نجلت منه في اللحظة نفسها التي أحسته فيها.

ذلك الإحساس الخطير الذي يسبق السقوط ... حين يدرك الجسد ما لا يجرؤ العقل على تسميته.

توقف على بعد شبرين منها.

— "هل أخبركِ ما الذي ورثتِه حقاً من خالتك ؟"

همست:

— "ابتعد."

لكنه لم يبتعد.

خفض رأسه قليلاً، حتى صار صوته يلامس وجهها أكثر مما تسمعه أذناها.

— "وحدةً طويلة... لم تجد من يفهمها.... وخوفاً كانت تتغذى عليه كي أبقى ، ثم أتيت أنتِ... أجمل منها حزناً."

صفعته أو حاولت.

إذ أمسكت يده معصمها في الهواء بسهولة مروعة، لا بعنف، بل بثبات مطلق.

وثمة شيء في لمسته جعل تياراً بارداً ساخناً يمرّ في ذراعها كلها.

نظر إلى يدها المعلقة بينهما، ثم إليها.

— "أخيراً... لمستِني."

وكانت تلك الجملة، لسبب لا تعرفه، أشد إثارة لاضطرابها من أي تهديد.

سحبت يدها بعنف هذه المرة، فتركها.

ثم تراجع خطوة، كما لو أنه لا يريد أن يكسر شيئاً لم ينضج بعد.

— "سأعود غداً."

— "لا تعد."

ابتسم ابتسامة صغيرة، واثقة، موجعة.

— " حين تقول امرأة هذا... لا يكون الخطر في المعنى. بل في النبرة. "

ثم اختفى.

لا دخان، لا نار، لا مؤثرات من الأساطير الرديئة.

فقط... لم يعد هناك.

وبقيت الرائحة.

تلك الرائحة الدافئة الداكن ... كأن الليل نفسه مرّ بجسدها ثم ترك ظله عليها.

في الأيام التالية، بدأت ليلى تفقد قدرتها على التمييز بين اليقظة والحلم.

كانت تراه أحياناً في انعكاس نوافذ المحال.

يقف خلفها وسط الزحام، هادئاً، مراقباً.

وحين تلتفت لا تجد أحداً.

وتسمعه أحياناً في اللحظة السابقة للنوم، حين يصبح الوعي طرياً هشاً، فيهمس باسمها كما لو كان يخرجه من مكان عميق في صدره، لا من فمه.

لكن ما أخافها حقاً... أنه لم يكن يكتفي بإخافتها.

بل كان يعرفها.

في ظهوره الرابع، وجدته جالساً على الكرسي قرب المكتبة، كأنه صاحب البيت.

قال دون مقدمة:

— "أنتِ لا تبكين على الرجل الذي ترككِ."

حدقت فيه بصمت.

— " أنتِ تبكين لأنكِ كنتِ مستعدة أن تصدقيه. وهذا ما أهانك."

تجمدت.

كيف عرف ؟

تابع، وصوته هادئ كأنه يقرأ من داخلها:

— "ومن قبله أبوك ... وعدكِ أن يبقى، ثم مات في أكثر أيامكِ احتياجاً له."

— "اصمت."

— "ومن قبلهما جميعاً... أنتِ متعبة من أن تكوني المرأة التي تبدو قوية بما يكفي كي لا ينقذها أحد."

نهضت فجأة.

— "اخرج !"

وقف هو أيضاً.

وكانت المسافة بينهما صغيرة جداً.

قال بصوت منخفض، مختلف هذه المرة، أقل لعباً وأكثر صدقاً:

— " لو أردتُ أذيتكِ لفعلت منذ الليلة الأولى."

ثم أضاف، بعد صمت قصير:

— " أنا لا آتي لأنكِ ضعيفة يا ليلى ... أنا آتي لأنكِ تنادين منكسرةً، حتى حين لا تنطقين."

وللمرة الأولى، رأت شيئاً لم تتوقعه في عينيه.

لم يكن جوعاً فقط.

بل... حنيناً.

وهنا بدأ خوفها الحقيقي.

لأن الوحش، ما دام وحشاً صرفاً، يمكن مقاومته.

أما إذا حمل في داخله كسراً يشبه كسرك... فالمقاومة تصبح أكثر تعقيداً من الرغبة نفسها.

فتشت أكثر في أوراق خالتها.

واكتشفت ما لم تكن تريد اكتشافه.

لم يكن "الزائر" مجرد كيان عابر.

كان رباطاً.

شيئاً بدأ منذ أجيال، مع امرأة من نسلهنّ الأول، ويعود في كل مرة إلى امرأة من العائلة حين تبلغ عزلتها درجة معينة.

وكانت هناك فقرة شبه ممزقة تقول:

" إنه لا يأخذ الروح دفعة واحدة ... بل يجعلها تفضّله على العالم."

وفي الصفحة الأخيرة، وجدت اعترافاً لم يكن ينبغي أن تقرأه:

" قاومته سنوات ثم خفت اليوم الذي لا يعود فيه."

أغلقت الدفتر ويديها ترتجفان.

لم تعد القضية أن كياناً شيطانياً يزورها.

بل أن النساء قبلها... لم ينجون منه لأنهن ربما لم يردن النجاة كاملة.

عاد في تلك الليلة، لكن ليلى لم تكن خائفة كما ينبغي.

وهذا ما أخافها.

كان المطر يضرب النوافذ، والبيت غارقاً في زرقة البرق الخافتة.

وقف عند الشرفة المفتوحة، يراقب السماء كأنه يشتاق إلى شيء فيها.

قالت من خلفه:

— "هل ما كتبته خالتي صحيح ؟"

لم يلتفت.

— " أي جزء ؟ البشر يكتبون كثيراً حين يخافون."

— " أنك تجعل المرأة تفضلك على العالم."

التفت ببطء.

وفي نظرته هذه المرة لم يكن هناك تهكم.

بل تعب قديم.

— " العالم نفسه هو من يسلّمها إليّ."

اقتربت منه.

كانت هذه أول مرة تتحرك نحوه بإرادتها.

— "وماذا تريد مني ؟"

أجاب بعد صمت:

— " أن تريَني كما أنا... ولو لمرة واحدة."

— "وما أنت ؟ "

نظر إليها طويلاً ، ثم قال:

— "شيء عوقب لأنه أحبّ ما لا يحق له أن يحب."

كان يمكن أن تضحك أن تعتبرها حيلة أخرى من حيل الإغواء.

لكن صوته لم يكن صوت ممثل بارع.

كان صوت كائن أنهكه الزمن إلى حد أن الحقيقة لم تعد تمنحه أي ميزة.

تقدمت أكثر.

حتى لم يعد بينهما إلا نَفَس واحد.

سألته همساً:

— "هل كل ما فيك كذب ؟"

خفض بصره إلى شفتيها، ثم عاد إلى عينيها.

— " كل ما فيّ قد يكون كذباً..إلا ما يحدث لي حين تنظرين إليّ هكذا."

وشيء ما في داخلها انهار عند تلك الجملة.

لم تقبّله بدافع الاستسلام.

ولا بدافع الحب.

ولا حتى بدافع الفضول وحده.

بل لأنها، للمرة الأولى منذ زمن طويل، شعرت بأنها مرئية بالكامل.

بشقوقها، بجوعها، بخوفها من أن تُترك، وبذلك الجزء السري منها الذي كان يريد أن يُلتهم... فقط كي يتوقف عن الشعور بالفراغ.

وحين التقت شفتاهما، لم يكن في الأمر عنف ولا افتراس.

بل بطء خطير.

بطء رجل يعرف أن بعض الأبواب لا تُكسر... بل تُفتح على مهل، حتى تظنّ صاحبتها أنها من أدارت المقبض.

لكن في عمق تلك القبلة كان هناك شيء آخر.

حزن.

حزن كثيف، قديم، مرّ من فمه إلى روحها كأنه ذكرى لا تخصها.

ابتعدت عنه أولاً.

وكانت تلهث.

— "ماذا فعلت بي ؟"

نظر إليها نظرة طويلة، مؤلمة على نحو لم تفهمه إلا بعد لحظة.

ثم قال:

— " الشيء الوحيد الذي لم أكن أريد فعله."

قالت بتوتر :

— " ما معنى هذا ؟"

وحين رفع يده، رأت العلامة.

خط أسود دقيق بدأ يظهر تحت عظمة ترقوتها، كأنه أثر حبر حيّ ينبض تحت الجلد.

فتراجعت ، وقال بصوت خافت:

— "الرابطة بدأت."

أجابت :

— "أزلها !"

وفي تلك اللحظة فقط، بدا عليه الذعر.

ذعر حقيقي.

اقترب منها بسرعة، لا كصياد، بل كرجل اكتشف أنه قاد من يحب إلى حافة هاوية لم يكن يريدها.

— " اسمعيني. إن اكتملت الرابطة، ستبقين قادرة على رؤيتي دائماً... لكنكِ ستفقدين شيئاً من العالم البشري في كل مرة أعود فيها."

— " أنت خدعتني."

أغمض عينيه للحظة.

— "نعم."

ثم فتحهما وأضاف:

— " لكن ليس في الشيء الذي كنت أخشاه على نفسي."

وفجأة ... شعرت بحرارة غريبة تنتشر من إلى صدرها ثم تنزلق ببطء إلى أسفل بطنها، كأنها أصابع خفية تلامسها من الداخل.

أنفاسها تعثرت.

كانت اللمسة غير مرئية، لكنها حقيقية إلى درجة أثارت فيها شعوراً بالعري التام، وكأن جسدها كله صار مكشوفاً أمامه دون أن يخلع عنها شيئاً.

انتفض جسدها كله ، كانت اللمسة خفيفة كالنسمة، لكنها أشعلت شيئاً عميقاً.

شعرت بحلماتها تتصلب فجأة تحت القماش الرقيق لثوب النوم، ودفء رطب يبدأ يتجمع بين فخذيها على نحو مفاجئ ومخجل.

لم تكن رغبة عادية؛ كانت رغبة مشبعة بوعي حاد بأنه هو الذي يسببها، بمجرد وجوده وبلمسة لا تكاد تُرى.

— "أشعر بك..."

قالت بصوت مرتجف، "داخلي. كأنك... تلامسني من الداخل."

أغمض عينيه بقوة، وكأنه يحاول السيطرة على نفسه.

— " هذا ما كنتُ أخشاه. الرابط يعمل في الاتجاهين. أنا أشعر بكِ أيضاً... كل نبضة، كل ارتجاف، كل... رطوبة."

كلماته الأخيرة جعلت خديها يحترقان. لم يكن في صوته شهوة رخيصة، بل صدق مؤلم. كان يعترف بأنه يشعر بها كما تشعر به، وأن جسدها يخونه أمامه بكل صدق.

انفتحت عيناه، وفيهما ظلام أعمق، لكنه ظلام يحترق. انزلقت أصابعه ببطء شديد على قماش ثوبها، يرسم دائرة حول حلمة ثديها اليمنى دون أن يلمسها مباشرة. كانت الحركة بطيئة إلى درجة التعذيب، فكلما اقتربت أصابعه، ارتفع تنفسها، وكلما ابتعدت قليلاً، أرادت أن تتوسل.

أخيراً، أغلق أصابعه حول الثدي كله، برفق يشبه العبادة أكثر من التملك. ضغط بلطف، ثم مرر إبهامه على الحلمة المنتصبة.

خرج من ليلى صوت صغير، نصف أنين ونصف تنهد، لم تستطع كبحه.شدّها إليه مرة أخرى، لكن هذه المرة لم يكن هناك حذر. كانت يداه أكثر جرأة، تنزلقان على ظهرها، ثم تنزلقان إلى أسفل، تمسكان بمؤخرتها من فوق الثوب وتضغطانها نحوه حتى شعرت بصلابته تشتعل ضد بطنها ، كان صلباً، ثقيلاً، نابضاً بحرارة غير بشرية.

شعرت برغبة مفاجئة في أن تفتح ساقيها له، أرادت أن تشعر به يدخلها، ببطء، بعمق، حتى يملأ ذلك الفراغ الذي صار يؤلمها الآن.

لكنه لم يفعل ، بل انحنى وأخذ يقبل العلامة على ترقوتها، كل لمسة من لسانه أرسلت موجة حرارة مباشرة إلى بين فخذيها، كأن هناك خيطاً خفياً يربط بين الوشم وأعمق نقطة في جسدها.

— "أنتِ تذوبين..." همس وهوعلى جلدها، وصوته مبحوح تماماً الآن.

ارتجفت ليلى بقوة. الكلمات الصريحة، المنطوقة بتلك اللهجة الهادئة المؤلمة، جعلت ركبتيها تضعفان.

أمسكت بيده ونزلت بها ببطء شديد، تحت ثوبها، حتى وصلت إلى الرطوبة الحارة التي كانت تنتظره.عندما لامست أصابعه الجلد الناعم المبلول، خرج منه صوت منخفض، شبه أنين، كأن اللمسة أذابته هو أيضاً.

— " ليلى..."

كان اسمها على لسانه يشبه الصلاة واللعنة معاً ، أدخل إصبعاً واحداً ببطء مؤلم، ثم اثنين، يتحركان داخلها برفق يشبه التعذيب، بينما إبهامه يدور حول البرعم المنتفخ في الأعلى. كانت حركاته دقيقة، تعرف بالضبط أين تلامس، كأنه يقرأ جسدها قبل أن يلمسه.

استندت إليه بكل قوتها، وجهها مدفون في عنقه، وهي تلهث اسمه بصوت مكسور.كان الرابط بينهما يعمل الآن بكامل قوته؛ كان يشعر بكل ما تشعر به، وهي تشعر بمدى صعوبة مقاومته لنفسه.وحين اقتربت من الحافة، حين شعرت أن الذروة على وشك أن تبتلعها، توقف فجأة.

سحب أصابعه ببطء، ورفعها إلى شفتيه، وذاقها أمام عينيها ، كانت النظرة في عينيه لا تُحتمل.

— "ليس الآن..."

سقط الصمت بينهما كثيفاً.

وفي الخارج، كان المطر يشتد، كأنه يطرق العالم كله لا البيت فقط.

قالت بصوت مكسور:

— "كيف أوقف هذا ؟"

نظر إليها، وكانت تلك أول مرة يبدو فيها أضعف منها.

— " بأن تطرديني قبل الفجر."

— " وهل سترحل ؟ "

صمت.

ثم قال:

— " إذا طلبتِها بقلب كامل... نعم."

كانت الكلمة الأخيرة أصعب مما تخيلت.

لأن القلب، حين يذوق الشيء الذي كان ينقصه، لا يعود كاملاً في لحظة الوداع.

اقترب منها خطوة أخيرة.

لم يلمسها.

فقط وقف أمامها، قريباً بما يكفي لتشعر بحرارته، بعيداً بما يكفي ليمنحها فرصة النجاة.

— " إن أبقيتِني، سأصبح حاجتكِ الوحيدة. "

ثم ابتسم ابتسامة شاحبة، موجعة:

— " وهذا، حتى بالنسبة لشيطان... قسوة لا أحتملها لكِ. "

عندها فقط بكت.

ليس خوفاً منه.

بل لأنها فهمت، متأخرة جداً، أن أخطر أشكال الظلام ليست تلك التي تريد أن تلتهمك...

بل تلك التي - لسبب غير مفهوم - تحبك بما يكفي لجعلك لا تقدر على تركها.

نظرت إليه عبر دموعها.

وقالت الكلمة التي مزقت شيئاً في صدرها وهي تخرج:

— "اذهب."

لم يتحرك.

فهمست ثانية، بصوت أكثر ثباتاً، أكثر صدقاً، أكثر دموية:

— " اذهب... قبل أن أختارك. "

عندها انطفأ شيء في عينيه.

ليس غضباً.

ولا كبرياء.

بل ذلك الوميض الأخير الذي ينطفئ في كائن أدرك أن النجاة والحرمان قد يكونان الشيء نفسه.

أومأ لها مرة واحدة.

ثم تراجع نحو الظل.

وقبل أن يختفي، قال بصوت بالكاد سمعته:

— " لو وُجدت جنة للكائنات التي سقطت من السماء ...لكنتِ أنتِ فيها"

ثم غاب.

هذه المرة نهائياً.

واختفت الرائحة.

واختفى الدفء الغريب.

واختفى معه ذلك الإحساس بأن الليل يراقبها كما يراقب العاشق نافذة امرأة لا يجرؤ على الصعود إليها.

بعد أشهر، باعت ليلى البيت.

انتقلت إلى شقة صغيرة مطلة على شارع مزدحم، مليء بأصوات البشر العاديين، وباعة القهوة، وأبواق السيارات، وحياة لا تترك مجالاً واسعاً للأشباح.

تعلمت أن تنام والضوء مطفأ.

تعلمت أن تسمع الطرق على الأبواب دون أن يتوقف قلبها.

تعلمت أن الوحدة، مهما كانت قاسية، أرحم أحياناً من الكائنات التي تأتي لتملأها بالكامل.

لكن بعض الليالي...

في اللحظة السابقة للفجر، حين يصبح العالم رخواً بين حلم واستفاقة...

كانت تستيقظ فجأة، لا لسبب واضح، وتجد قلبها ينبض كما لو أن أحدهم نطق اسمها للتو عند أذنها.

فتجلس في العتمة.

تنظر إلى المرآة.

ولا ترى شيئاً.

إلا نفسها.

وذلك، على نحو غريب، لم يكن دائماً مريحاً.

لأن بعض النجاة لا تأتي كخلاص...

بل كفقدٍ أنيق، طويل، يترك في الروح حرارة لا تبرد أبداً.

تمت